

## المحاضرة الخامسة

### شعر البارودي وشاعريته

وضع البارودي في مقدمة ديوانه تعريفاً للشعر وظيفته فقال (إن الشعر لمعة خيالية يتألق وميضها في سماوة الفكر، فتنبعث أشعتها إلى صحيفة القلب ، فتفيض بالانهار نوراً يتصل بأسلة اللسان، فينفث بالوان من الحكمة، يتبلج بها الحالك، ويهتدي بدليلها السالك. وخير الكلام ما ائتلفت الفاظه واختلفت معانيه، وكان قريب المأخذ بعيد المرمى سليماً من وصمة التكلف، بريئاً من عشوة التعسف، غنياً عن مراجعة الفكرة، فهذه صفة الشعر الجيد).

ويتضح من هذا التعريف أن الشعر في نظر البارودي ليس وليد التكلف والصنعة، وإنما

هو وليد الطبع. وقد عبر عن ذلك في شعره حين قال:

**أقول بطبع لست احتاج بعده إلى المنهل المطروق والمنهج الوعر**

وهذا يؤكد أن شعر البارودي (لم يعد كلفاً وجيلاً بديعية ولا أبياتاً تقرأ طرداً وعكساً ولا أرقاماً حسابية تجمع تاريخاً معنياً، لم يعد اضطراباً في التواء، ولا تلفيق وإنما أصبح شيئاً طبيعياً يتدفق في النفس).

ولا يبتعد تعريف البارودي للشعر عن مفهوم القدماء له، إذا أكدوا على الموازنة بين الفاظ الشعر ومعانيه، وعلى استواء الفكرة وبعدها عن التعقيد، كما نادي كثير منهم بالبعد عن التكلف وهجر الصنعة التي تسيء إليه.

ومما يتصل بهذا موازنته بين الفاظ الشعر ومعانيه (إذا كان البارودي يتخير الالفاظ المناسبة للمعاني التي يريدتها، فيرق ويلطف حين يقضي المقام الرقة واللطف ، كان يتغزل أو يعتب أو يصف منظرًا جميلاً أو مجلس انس وسمر، ويجزل شعره ويجلجل لفظه ويشد أسره حين ينشد في الحماسة والفخر والمديح وحين يصف البحر الهائج والريح الزفوف والحرب الضروس .

وهذا مما نبه إليه نقادنا القدامى حين أشاروا إلى مطابقة الالفاظ للمعاني، ولا يبعد أن يكون شاعرنا قد اطلع عليه وتأثر به ولقي استجابة في نفسه حتى بعثه من جديد. كما بعث الفن نفسه من جديد.

نظم البارودي شعره في معظم الموضوعات القديمة، تحقيقاً لبعث الشعر القديم في الفخر والمدح والهجاء والرثاء والوصف والعتب.

وقد عاش في بعض هذه الموضوعات في الأجواء العربية القديمة، بعيداً عن حياته

المعاصرة وبيئتها الجديدة، بل أنه ليضرب في متاهات نجد ورباها وديانها ورمالها فيقول:

**أشــتاق نجــداً وســاكـنيه وأيــن مني الغـداة نجـد**

ويتحدث عن لياليه بوادي الفضا فيقول:

أين ليالينا بوادي الفضا      ذاك عهد ليته ما انقضى

وقد دافع محمد حسين هيكل عن هذه التهمة قائلاً (وهذا التطابق البين على قلته في شعر البارودي ، قد اوفد غيره من الفحول بمثله. وإنما يفسره أن روح البارودي متصلة بالاقدمين كل الاتصال. وما قاله في الحكمة وكثير مما قاله في الفخر. ليس إلا ترديداً لما قالوا، لأنه لم تكن له فلسفة خاصة، ولأنه كان يبعث معاني الأقدمين. كما كان يبعث لغتهم، وأنا لا أسيغ تسمية هذا البعث سرقة، والشعراء والكتاب في كل أمة وعصر يتداولون المعاني بينهم). والواقع إننا ننسى أن البارودي قد قرأ الشعر القديم وهضمه واستساغه واعجب به واشربت روحه فيه، ولا يمكن في ظل هذا، أن ينجو شعره من النفاذ فيه.

واغلب الظن أنه كان يعتمد إلى هذا وأمثاله ليؤكد قدرته على الاحتذاء ولما يجد في نفسه من اعجاب فيه وانسياق اليه.

وقد التفت إلى هذا شوقي ضيف في معرض حديثه عن القديم في شعر البارودي فقال: على إن هذا لا يعني أن شخصيته قد فنيت في غيرها فناءً تاماً بل هي تتضح تمام الاتضاح كما سنرى، ولا بد من الإشارة إلى تأثير منتخباته التي جمع فيها وفي أربعة مجلدات لعشرات من فحول الشعراء القدامى. فقد استقر في نفسه من معانيها وصورها ولغتها ما لا يمكن اغفاله، وتجاوز تأثيره، وتشكل معارضاته المشهورة لفحول الشعراء تأكيداً لما نقول.

وقد كان تأثير الشعر العباسي في البارودي شديداً واضحاً. وقد تتبع شوقي ضيف هذه الظاهرة في شعره، فوجد أن هذا الشاعر قد أشرب روح نابهي الشعراء العباسيين أمثال أبي فراس في خمرياته والبحثري في نسيبه. وأبي تمام في تصويره وأبي العتاهية في زهدياته وابن الرومي في هجائه والمنتبي في شكواه من الزمن وحديثه عن الاخلاق والطباع وأبي العلاء في نقده للحكام وأبي فراس والشريف الرضي في فخرهما. ويرى هذا الناقد ، أن ذلك لا يضير الشاعر، إذ كان يقصد إليه قصداً، حتى لا يبنوا شعره عن ذوق العرب، وحتى يصبح له نفس الوهج القديم . ونظيف أن شخصية البارودي التي تتشكل من اجناس شتى وطبيعته الطموحة وثقافته الواسعة كل ذلك قد قربه من هؤلاء الشعراء، وحفره على أن يتابع طواعيم الفنية، وينحى منحاهم الاسلوبية. ولعله قصد أن يكون شاعر زمانه كما كان كل منهم شاعر زمانه، وأن يكون فارس أحلامه كما كان بعضهم فارس احلامه، وأن يكون له من تراثه الفني ومجده الشعري ما كان لكثير منهم. ولقد تحقق له شيء من هذا المجد، فما يكاد يذكر شعرنا الحديث حتى يكون البارودي في أول صفوفه ومقدمة ريادته.

من أشد الموضوعات التقليدية تأثيراً في شعر البارودي، الرثاء، فقد تابع شاعرنا القدمات في معانيهم التي لم تخرج عن التفجع على الميت والشكوى من الحياة وذم الزمان وبيان مناقب المرثى، ويلحق بهذا شيء من الحكمة.

وقد رثى الشاعر العديد من أصدقاء السلاح والادب كالشيخ حسين المرصفي وعبد الله فكري واحمد فارس الشدياق وغيرهم. ورقى أولاده وزوجته التي بكأها حاراً وهو في المنفى فزاد ذلك من عمق احساسه بالفجيعة ومن عمق أساء وضاعف من شعوره بالم الوحدة. وتحول الى تجرب صادقة تتسم بالعمق. دفعه إلى العتب على الزمان وعلى القدر وتتسع حدود تجربته لتمثل مصير الاولاد الذين تكسرت اجنحتهم بوفاة أهمهم. ويرسم في مرثيته لزوجته صورة لمأساة بناته اللاتي تيتمن بموت الام وبعد الاب وصرن يعشن في ظل الوحدة . لا تغمض لهن جفون من كثرة البكاء . ويضوغ من ذلك صورة تتبض بحيوية الفن الكلاسيكي فقد القت بناته دور عقودهن وضعن من دموعهن عقوداً وراح الشاعر يتحدث عن جزعهن . وقد بعث تلك المعاني مع ريح الصبا ونسيمه انسجماً مع احتذائه لمرثي القدمات فقال:

تقوى على رد الحبيب الغادي	لا لوعتي تدع الفؤاد ولا يدي
كانت خلاصة عدني وعتادي	يأدهر فميم فجعتني بحلياة
أفما رحمت من الأسى أولادي	إن كنت لم ترحم ضناني لبعدها
قرحى العيون رواجف الاكباد	أفرتهن فلم ينمن توجعاً
در الدموع قلائد الاجياد	ألقين در عقودهن وضعن من
كانت لهن كثيرة الاسعاد	يبكين من وله فراق حفة
يحمي الامام تحيتي وودادي	سرياً نسيم فبلغ القبر الذي

وعلى الرغم من أن أغلب مرثي البارودي لم تكن عميقة الافكار، لأنه لم يقف فيها على اسرار الحياة والموت، كما فعل شعراؤنا القدامى، وكما فعل شوقي من بعده، إلا إنها قد اتسمت بصدق التجربة الشعورية، إذ كانت تنبع من قلب مكلوم ونفس معذبة اضنتها الوحدة. وقوام هذا الصدق علاقة حميمة كانت تصله بمن رثاهم، الزوجة والاولاد ورفاق السلاح والقلم، ومن هنا خلت مرثيه من الزيف والنفاق.

يضاف إلى هذا المرثيه قد نظمت في المنفى مما زادها صدقاً وحقق لها واقعية التجربة. إذ امتزجت أحزانه بنفسه المعذبة التي كانت تعاني الام الغرية. ومن هنا عد عمر الدسوقي هذه القصيدة بالذات (من عيون قصائد الرثاء، وهي تدل على الوفاء والمحبة وعلى فرط حساسية). وقد سبق أن أشرنا إلى رأي علي الحديدي فيها.

أما فخره فإنه لم يعالجه لداعي التقليد فحسب، بل لدواع تتعلق بشخصيته الطموحة وطبيعته القوية، إضافة إلى قراءته لشعر الحماسة وتأثره بها. مما يجعل هذه المعالجة نابغة من المعاناة الصعبة. وهذا ما حدا محمد حسين هيكل إلى أن يحكم على حيث لا يلحقه إلا الأقلون من اكبر الشعراء فحولة واكثرهم تبرزاً، ويرجع تبريزه في هذه الاغراض الى أنه كان يعبر بها تعبيراً صادقاً عما تنطوي عليه جوانحه ويتردد في اعماق قلبه أو عما شارك بنفسه فيه وهذا سر قوته في وصف الحرب ووقائعها .

ولو عدنا إلى أية قصيدة من قصائد في الفخر، لوجدنا فيها معاني الاباء والشمم، والاعتزاز بالنسب. والفخر بالقوة والتغني بالشجاعة والاشادة بالمواقف الصعبة لوجدناها تجد ما في نفسه من آمال عريضة وطموحات بعيدة. وأنها أيضاً تجسد تجاربه الواقعيه كما حدث فعلاً وكما خاضها بنفسه، وأنها لا تخرج عن طبيعة، ولا تتناقض مع صدق تجاربه.

وقصيدته التي يفخر فيها بنفسه ويحرض بها بني وطنه على الرد على الظلم، تستطيع

أن تحقق هذه المعاني التي أشرنا إليها، وفيها يقول:

ويملك اعناق المطالب وغده  
يضيق بها عن صحبة السيف غمه  
عليه فلا يأسف إذا ضاع مجده  
أضر عليه من حمام يؤده  
يسيء وتبلى في المحافل حمده  
أيفرح في الدنيا بيوم يعده  
كذي جرب يلتذ بالحك جلده  
بها بطلاً يحمي الحقيقة شده  
وفي السيف ما يكفي لأمر بعده  
وأن شد ساقى دون مسعاى قده  
وقلب إذا سيم الأذى شب وقده  
أرومته في المجد وافتر سعه  
بما كان اوصاه ابوه وجده  
واطلب أمراً يعجز الطير بعده

أبى الدهر ألا أن يسود وضيعه  
فختام نسري في دياجير محنته  
إذا المرء لم يدفع يدر الجور أن سبط  
ومن ذل خوف الموت كانت حياته  
واقتل داء رؤية العين ظالمأ  
علام يعيش المرء في الدهر خاملاً  
يرى الضيم يغشاه فيلتذ وقعه  
عفاء على الدنيا إذا المرء لم يعيش  
من العار أن يرضى الفتى بمذلة  
وأني امرؤ لا استكين لصولة  
أبت لي حمل الضيم نفس ابية  
تماني الى العلياء فرع تأثلت  
وحسب الفتى مجداً إذا طالب العلا  
أصد عن المرمى القريب ترفعاً

والقصيدة طويلة، وكلها تجري في هذا النمط الذي تتشابك فيه ضروب من المعاني التي تجتمع عند خيط فكري لا يخرج عن طبيعته الأبية التي تأبى الذل والاستسلام، وهي معان تنبض بالقوة والحيوية، وتحقق الكثير من المبادئ التي يؤثرها الشجعان الصناديد.

وقد أكد الشاعر فيها على مطلب الحرية. واستهجن الذل والظلم، وتمسك بمبادئ الحق. وخلص إلى الفخر بابائه والاعتداد بنسبه العريق والاعتزاز بأجداده. كما يؤكد على طموحاته العالية وآماله العريقة ولاشك أنها ليست مما يبالغ الشاعر فيها. وإذا عرفنا أن الشاعر قد نظم هذه القصيدة في منفاه. اتضح لنا ما كانت تحمله نفسه من اباء وسمم، فعلى الرغم من الاحداث الجسام التي المت به وطمحت باماله إلا أنها على قسوتها، لم تفت من عضده لم تضعف معنوياته.

وصحيح إننا نعثر له على قصائد قليلة تشير إلى يأسه من الحياة والناس. وحقاً إننا نلمح شيئاً من ذلك في زهدياته، ولكن هذا قليل إذا ما قيس بحماسة وفخره ولعل ذلك عنده (يرجع الى تلك الحالات النفسية التي غلبه فيها اليأس على أمره وهو وحيد شريد يعاني غصص الفراق والنفي، وإلا فهذه النفس الطموح التي خاطرت وغامرت وتطلعت إلى الملك، وتلذذت ونعمت بالحياة كانت بعيدة عن الزهد في الحياة ولعلها لم تزهد إلا مرغمة) . كما يرجع أيضاً إلى (عاطفته الدينية التي أخذت تقوى وتنمو) ولعلها استوتت في نفسه بفعل الخطوب والاحداث التي عمقت فيه عنصر التجربة، وإذا هو يتحدث عن الحياة والموت والبعث والخير والشر، ولاشك أن استواء العناصر الثقافية لديه وكثرة التجارب قد عمقت موقفه تجاه هذه المسائل وانتهت به الى تيار زهدي ملحوظ. من ذلك قوله يتحدث عن الانسان وفنائه.

وهل لا مرثي في العالمين خلود	بلينا وسر بال الزمان جديد
وكل الذي من صلبه سيبيد	قضى ادم في الدهر وهو ابو الورى
فللموت ما يمضي الفتى ويرود	فلا تبك ميتاً حان يوم رحيله
سوى مهلة نأتي لها ونعود	فما هذه الدنيا وإن جل قدرها

ولا يفوتنا أن نذكر ما تخلل الزهد من حكم ومواعظ، كان كثير منها خلاصة تجارية في الحياة وتعامله مع الناس، وتتويجاً لقراءاته المكثفة لشعرنا القديم.

وتأتي الان إلى غزل البارودي وإلى خمرياته اللذين اثارا بين الدارسين خلافاً عن حقيقته موقفه منها وصدقه فيها. وكان هيكل قد استبعد وقوع الحب للبارودي واستنكر صراحته فيه، وربما أراد بذلك أن ينزه الوزير القائد من عبث الفتيان. وقد نسي هيكل ما قاله البارودي في مقدمة ديوانه- عن دوافع قول الشعر عنده ((إنما هي أغراض حركتني وإباء جمح بي وغرام سال على قلبي)) وهذا ما دفع شوقي ضيف إلى أن يحكم على حب البارودي بأنه (غرام حقيقي كابده مع بعض الفاتنات في روضة المقياس وفي حلوان، وكاد ينفطر له قلبه اسى وحرزناً وسالت دموعه فيه مدراراً، لما كان يتخلله من اليأس اللاذع والقنوط الممض) .

وأظن بعد ذلك لسنا بحاجة للتأكيد على صدقه الشعوري والفني في موضوع الحب الذي

نظم فيه روائع تفيض بالوجد من مثل قوله:

وتولى الصبر عنه فشكا  
علة الشوق فكانت مهاكاً  
مهبط الحكمة حتى انتهكا  
ثم أغراها فكانت شركاً  
وسقته ادمعي حتى زكاً  
بيد السحر تضحى شبكاً  
انه حق على من ملكا  
بعدهما تيمته فهو لكاً  
فيك واستولى على الضحك البكا  
من غرام واليك المشتكى

غلب الوجد عليه فبكى  
وتمنى نظرة يشفي بها  
يالها من نظرة ما قاربت  
نظرة ضم عليها هدبه  
غرست في القلب مني حبه  
يا غزلاً نصبت أهدابه  
قد ملكت القلب فستوحى به  
لا تعذبه على طاعته  
غلب اليأس على حسن المنى  
فإلى من أشتكى ما شفني

وكما كان البارودي صريحاً في حبه فقد كان صريحاً في وصفه الخمر ونحن لا يخامرنا شك في أن الشاعر قد اقترب أثم الخمرة كما اقترب اثم الحب والذي يستهويه عشق الجمال ويمارسه، يمكن أن يستهويه شرب الخمرة فيمارسه. وهكذا راح شاعرنا بصراحته المعروفة يتغنى (بالخمرة وآثارها في العقول والاحاسيس وأوصافها في ألوانها وجدتها وعتقها، غناء خبير مارس الشراب حتى عرف أسرار التجربة، كل ذلك في عاطفة تفيض قوة وحيوية، بل تفيض فرحاً وبهجة ولذة وكأنما يريد أن يمنحنا محبة الحياة، وديوانه مليء بمجالس الشراب في ليالي الأوس يصف دنانها وندمانها وكؤوسها وسقاتها وصفاً رائعاً في أكثره).

وتحتشد قصائد الخمرة في ديوان البارودي مقطوعات قصيرة أو قصائد (لا تقل في

روعتها عما نظمه شاعر الخمر القديم ابو نواس) من مثل قوله:

وأسقينها على جبين الغداة  
وسجع الطيور في العذبات  
ومراح المنى ومسرى الحياة  
من أليم الأشواق في حسرات  
من فؤاد الحزين نكل شكاة  
ورعايب كالدمى خفرات  
هي كالشمس في قميص إيابة  
حذر الفتك مم صياح النبرة

أدر الكأس يا نديم وهات  
شاق سمعي الفضاء في رونق الفجر  
فهي مرعي الهوى ومغنى التصابي  
الفتها النفوس فهي اليها  
تبعث اللهو والسرور وتمحو  
بين ندمان كالكواعب حسناً  
يشاقون بالكؤوس ماداما  
في أباريق كالطيور اشربت

يرض عنهن كالألمات  
ظلت تدور بالفلوات  
الاماني في عالم الخطرات

حانيات على الكؤوس من الرأفة  
ومغن إذا شجا خلّت أن الأرض  
تلك والله لذة العيش لا سوم

وقد ارتبط غزله وخمريته بوصف الطبيعة ، وعلى الرغم من كثرة قصائده في الوصف إلا أن الطبيعة التي تقلب في ظلها البارودي، سواء في مصر أو في جزيرته سرنديب حيث منفاه، قد سيطرت على ريشته الفنية، وكانت واحدة من العناصر التي أثارت شاعريته. وربما كانت طبيعة مصر قد أثارت في نفس الشاعر من المشاعر ما عكست تجاربه الصادقة. وإذا كانت بعض قصائده في وصف الطبيعة قد استمدت صورها من الشعر القديم وغدت بسبب ذلك تقليدية، إلا أن (الجديد في وصف البارودي أنه أفرد له قصائد بعينها لأن شاعريته وحواسه المرهفة وتذوقه الحاد للجمال كانت تدفعه إلى قول الشعر، وإلى وصف مشاهداته لا كما هي في الطبيعة، ولكن يخرجها ملونة بشخصيته وشعوره وأفكاره) .

من ذلك قول في وصف النجوم:

عند النجوم رهينة لم تدفع  
حلقات قرط بالجمان مرصع  
في جوف ادحي بأرض بلقع

أرعى الكواكب في السماء كأن لي  
وترى الثريا في السماء كأنها  
بيضاء ناصعة كبيض نعامة

والقصيدة طويلة وكلها على هذا النمط من الوصف المادي الحسي. إن الذين تحدثوا عن وصف البارودي قد اتفقوا على ملكته الخيالية، خصوصاً في وصف الطبيعة التي أثرت في مشاعره وأحاسيسه، كما تحدثوا عن صدقه فيها يقول هيكل عن هذا الوصف (وكما اختزنت ذاكرته للشعر صدر شبابه فقد اختزنت في هذه السنوات المتعاقبة من صور مصر، ما زاده حباً لها وتعلقاً بها وما جعله يتحدث في شعره عنها، ويصف بديع مناظرها وصفاً لم يسبقه إليه أحد).

لقد حقق شاعرنا في قصائده السياسية والوطنية تطوراً واضحاً، حين انتقل بها من (عالم الفردية الذاتية التي يعيش فيها، إلى محيط العمل من أجل الجميع، ومن محور الحياة الخاصة الذي يدور فيه إلى مجال النضال الوطني الكبير، ثورة يريد لها أن تمتد من نفسه إلى مواطنيه، فتوقفهم ليتأصلوا أسباب ذلهم وعلّة ظلمهم).

وصحيح ان شعر الحنين قديم في تراثنا الادبي، كما شاع لدى شعرائنا المحدثين أمثال شوقي والكاظمي وغيرهما. غير أنهم لم يبلغوا منه ما بلغه البارودي من دقة في الوصف وصدق في الإحساس وحرارة في العواطف.

فقد كان هذا الشاعر يعاني غصص الغربة أكثر من سبعة عشر عاماً، يبكي حاله ويرثي زوجته وأولاده، وأصدقاءه، ويستجيب لدواعي حبه لمصر، فيخشع لطبيعتها ويصف وحشة الغربة وعذابها، ويكشف عما آلت إليه نفسه من شوق لمصر ولمن فيها، كل ذلك والشاعر يمتلك قياد فنه، حتى لكان شعر الحنين كان ينتظر من يكشف عن أصالة بعد طول غياب، ويحيي معانيه بعد أن غابت عن الشعر مئات من السنين.

والذين درسوا شعر البارودي يتفقون على أن موضوع الحنين يمثل لديه أروع ما تناولته ريشة هذا الشاعر. صدق إحساس وحرارة عواطف لأنه قد استمد مادة تجارية فيه مما كان يعانيه ويكابده وهو كثير.

ولنستمع الى إحدى قصائد التي يقول فيها:

وهل يعود سواد اللمة البالي	ردوا على الصبا من عصري الخالي
في صفحة الفكر إلا هاج بلبالي	ماض من العيش ما لاحت خمائله
بالوصل يوم أناغي فيه أقبالي	يا غاضبين علينا هل إلى عدة
وساء صنع الليالي بعد إجمالي	غبتم فأظلم يومي بعد فرقم
قلبي إلى زهرة الدنيا بمال	فالיום لا رسني طوع القياد ولا
مثل القطامي فوق المريا الغالي	ابيت منفرداً في رأس شاعقة
لخلتني فرخ طير بين ادغالي	ولو نيرانني ويردي بالندی لثق
في جوف عيناء لا راع ولا دال	غال الردي ابويه فهو منقطع

والقصيدة طويلة، تحتفل بالوصف الدقيق والمشاعر الرقيقة والعواطف الدافقة وتختلط فيها المشاعر الفردية بالمشاعر العامة الانسانية، كما إنها تنبئ عن الموقف الصادق للتجربة الذاتية التي تختلط بالتجربة الإنسانية العامة.

بقي ان نعرف شيئاً عن مفهوم الريادة الشعرية للبارودي، هذه الريادة التي حققت له مجده الادبي وأتاحت له ما لم تتح لغيره من شعراء جيله، ذلك أن ما استعرضناه من شعر الشاعر وشاعريته، وملكاته الادبية، وإمكاناته الفنية التي استطاع أن يعيد بها للشعر العربي أصالته وعمقه ونقاءه، لم تتحقق إلا بمجموعة عوامل، بعضها يتعلق بملكاته الشخصية وبعضها الآخر يتصل بظروف استنزف قدراته الخاصة وحركت في نفسه عوامل الطموح والريادة التي تتحقق لدى غيره من شعراء جيله.

إن مفهوم الريادة لا يعني، تحقيق التجديد والخلق والابتكار في المعاني والأساليب واللغة والموضوعات وغيرها، وإنما يعني بعث الشعر العربي إلى ما يصله بشعرنا القديم، روعة أسلوب



ورصانة لغة وجزالة لفظ وصحة تركيب ومتانة عبارة. وما ينتج عن هذا كله من بعد عن الابتذال في الموضوعات والاسفاف في الأفكار والضعف في المعاني، وكلف بالبديع وأثقاله.

والواقع ان الشاعر العربي على عهد البارودي لم يستطيع أن يحقق شيئاً من هذا، وإنما هبط بالشعر إلى ما يحيله الفاظاً مرصوفة وعبارات ركيكة، وراح يحشده بالوان البديع ويثقله بما يتهيأ له من جناس وطباق ومقابلة وحشو حتى إذا جاء البارودي سما بالشعر وبعث القصيدة بعثاً جديداً يصلها بماضيها الزاهر ويحقق لها نوعاً من الواقعية التي المحنا الى بعض صورها، كما حقق لها من الصدق الفني والشعوري ما ارتفع بها إلى مستوى الشعر الجديد.

واكبر الظن أن الذي هياً للبارودي كل هذا هو أنه (أكد على النماذج القديمة الرائعة يحفظ ويستظهر ويزاول صنع الشعر، وبذلك اعاد للشعر العربي سيرته الأولى عند شعراء الجاهلية والإسلام من الرواية والاستظهار ثم المزاوله وأيضاً من التعبير الواضح المستقيم عن مشاعر صاحبه).

لكن ما الذي حقق للبارودي هذه الريادة؟

هناك مجموعة من العناصر التي هيأت له هذا المجد الريادي وفي مقدمتها عنصر الثقافة وهي تتوزع بين العربية التي شغف بها واستظهر الكثير من شعرها، وهي التي حققت له القدرة على الاحتذاء.

وربما أفاد شيئاً من الثقافة التركية والفارسية التي نظم فيها شعراً وكتب نثراً. وأما العنصر الثاني فهو جنسه الشركسي الذي ظهر طابعه في شعره، وأظهر اعتداداً بنفسه واعجاباً وفخراً بنسبه وهو الذي دفعه لأن يسمو إلى الطموح، ومنه الطموح الادبي.

ومما يتصل بهذا طبيعته الجادة التي اسلمته إلى ارتياد سبيل الفروسية ليحقق بها طموحاته الشخصية ويعيد بوساطتها امجاد ابائه واجداده. وقد وضح هذا في كثير من قصائده في الفخر والحماسة.

ومما يتصل بعنصر الطبيعة الشخصية، مواهبه الخاصة من ذكاء وقدرات وإمكانات فلما توفرت لدى غيره، وهي التي هيأت له استيعاب ما يقرأ ويحفظ، وهي التي بوأت له المناصب العالية في الحكم.

وربما يكون للبيئة المصرية أثر واضح في هذه الريادة، وهي العنصر الذي أمده بمادة تجاربه وصوره الواقعية الناضجة، فقد مضى بما تهيأ له في سني حياته الأولى من حب وخرم وعلاقات يصفها وصفاً رائعاً بعيداً عن الافتعال كما راح يصف مشاهداته في قصور الخديوي اسماعيل وعباس ويصور ما فيها من بذخ ولهو ومن بديع ما تحتويه القصور، وتهيأ لقلبه في هذه الأجواء أن يحب ويكشف في صراحة عن حبه، كما تهيأ له أن يصف الخمرة التي كانت

تعج بها قصر الخديويين. وقد أمدت مصر بما فيها من أحداث سياسية وصور اجتماعية قصيدة البارودي بالموضوعات الجديدة والمعاني المختلفة.

هذه وغيرها من العناصر هي التي دفعت بالشاعر وشعره لأن يعيد المجد الأدبي بما حقق له مكان الصدارة والريادة الأدبية، فكان دون منازع رائداً للشعر العربي الحديث.

#### المصادر

١- البارودي رائد الشعر الحديث

٢- في الأدب الحديث

٣- محمود سامي البارودي